

من أولى الأولويات في ظل الثورة المعرفية و التطور التكنولوجي و التغيير الثقافي .

و لقد ظل قبل اليوم تعليمية اللغة العربية تخضع لبيداغوجية تبليغ المحتويات ، تملأ عقل المتعلم و تراه و عاء يجب أن يملأ بالمعارف اللغوية يتقبلها المتعلم و يخزنها في الذاكرة إلى حين الامتحان ، و كأن اللغة و باقي فروع تدرس من أجل استظهارها يوم الامتحان لقياس حجم المخزون ، و لقد أظهر هذا النمط البيداغوجي عجزا كبيرا في المعارف اللغوية لدى المتعلم ، خاصة المعارف الوظيفية العلمية في عملية التواصل الاجتماعي و الفكري ، غير أن التقدم العلمي و التطور التكنولوجي الذي مس جميع مناحي الحياة بما في ذلك الجانب البيداغوجي ، و ما أحدثته التقنيات في الإعلام و الاتصال، و الإسهامات الكبيرة في عملية التعليم خدمت بشكل كبير جدا تعليم اللغات ، بما توافرها من أسباب ذلك بعد توظيف اللسانيات التطبيقية كعنصر مهم اعتمدته مناهج التعليم ، حيث أصبحت اللغة ذات مهمة وظيفية تمارس في الحياة الاجتماعية و السياسية و في كل مجال دون إحساس المتعلم بغربتها عن واقع الحياة ، و أصبح ربط المعارف اللغوية المتعلمة بالممارسات الاجتماعية¹ و حددت من خلالها صياغة الهدف بصورة محددة و صحيحة ، بحيث يبرز بوضوح السلوك المنتظر من المتعلم في صورة نشاط تعليمي ، و كذا المواصفات التي يجب أن تستخدم في التقويم ، ففي هذه المرحلة و تأثيراتها الإيجابية و السلبية بذلت الجهود في تطوير العملية التعليمية و تحسين مناهجها الدراسية ، مع الاهتمام بالتنوع و ما يوافق متطلبات العصر و احتياجات المتعلمين في ظل العولمة إعداد للتصدي لها ذلك من خلال تكييف المناهج (المحتويات و الطرائق) و الذي يشمل الأهداف

قراءة في مناهج و أنشطة تعليم اللغة العربية

للجيل الثاني

في ظل الانفجار الرقمي

د . موهدي السعيد

جامعة المسيلة

يعتبر القرن العشرون ثورة فكرية أطاحت بالعديد من الموروثات القديمة التي سادها الشك و التخمين ، إلى واقع التشريح الاختباري ، فالتطورات العالمية قد امتازت بالتقدم المذهل ، في مجال الحياة الاجتماعية العلمية و التقنية و تطبيقاتها ، و إن تفجر المعرفة الإنسانية تزايد بسبب تدفق المعلومات و المعارف من كل حذب و صوب ، لا تحده الحدود و بعد المسافات ، الأمر الذي جعل عالمنا متأثرا بصورة مباشرة أو غير مباشرة بهذه الثورة التقنية المعاصرة ، و كان لها انعكاسات على شؤون حياتنا الاجتماعية و الاقتصادية عامة ، و على المنظومة التربوية بصفة خاصة ، هذا ما جعلنا نشارك و بإسهام متواضع من خلال هذه المداخلة بوصف الواقع التربوي و مستجدات الطرائق ، و محاولة منا الاطلاع على المستجدات في مجال النظم التعليمية التي تجمع بين الأصالة و التحديث اللذان تقوم عليهما المسيرة التربوية لأي مجتمع من المجتمعات ، مع التركيز على الاستفادة القصوى من مستجدات العلم و التكنولوجيا و الاجتهادات التربوية و التعليمية الحديثة .

فإنهضة الحقيقية في أي مجتمع لا تتم بدون إعادة النظر في المناهج الدراسية من حيث المحتوى و الهدف ، لأن التعليم هو السبيل الوحيد للتحكم في مسار التنمية و رسم خريطة المستقبل ، و لقد أثبتت التجارب أن التقدم قرين العلم و المعرفة ، و من هذا المنطلق أصبح التعليم

التفكير الخطي القائم على تسلسل الأفكار و حسن الربط بين النتائج و الأسباب بعيدا عن أسلوب الحفظ و التلقين (طغيان المادة التعليمية) والاعتماد على أساليب التفكير و اكتساب مهارات الحوار⁴. وأصبح التركيز في عملية اكتساب المعرفة ينصب أساسا على القدرات الفطرية، و المواهب العقلية، و المعارف السابقة. فالطفل يولد مزودا بنماذج تركيبية ذهنية هي التي تكون القوالب اللغوية عند البشر تتشكل منها القواعد الخاصة بلغة الطفل في مجتمع لغوي معين ، إذ هي الكفاية الأولية التي تمكن المتعلم اللغوي من تحليل التراكيب اللغوية التي يسمعها ، وإعادة صياغة النظام القواعدي للغة الأم ، و هذه الكيفية تجعل الطفل قادرا على التلطف ببنى تركيبية جديدة⁵ استنادا لعملية التفكير العقلي ، و بهذا فالتعلم تطور مستمر و تغير دائم في الاكتساب و الاكتشاف.

أما المنهج أو المادة التعليمية لم يعد يتسم بطريقة خطية ، بل أصبح منهجا حلزونيا قائما على أن أية مادة تعليمية يمكن تدريسها في أي مرحلة من العمر مع استمرارية عملية التعمق المعرفي¹⁰ من خلال (تكرار - زيادة) ما تم تدريسه في مراحل سابقة ، فنحصل بهذا على ما يسمى بتشظي النصوص و المعارف و تشظي مناهج الدراسة⁶.

- معايير اختيار المنهج و تطويره: إن تحديد المحتوى المعرفي و تقديمه للمتعلمين في حد ذاته لا يحقق الأهداف التعليمية المنشودة ما لم تكن عناصره متكاملة، الأهداف، المحتوى، الطرائق، الوسائل، و الأنشطة و عملية التقويم. و بهذا فإن اختيار محتوى المنهج يعتبر مرحلة جزئية في عملية التخطيط للعملية التعليمية ، و لعل من أهم معايير ما يختار من محتويات المناهج الدراسية : الصدق و الارتباط بحاجيات المتعلم و اهتماماته ، و التوافق مع الإطار الاجتماعي ، و القابلية للتعلم ، بحيث لا يتعرض مع التراث ، مراعى فيه

و المعارف و أنشطة التعليم و التقويم مع تطوير مهارات المتعلمين.

و لما كان الهدف من عملية التعليم هو تطوير القدرات العقلية للمتعلم و تنميتها ، و تعزيز السلوك و إيقاظ حب الاطلاع ، إذ هو اكتساب مستمر لخبرات و مهارات جديدة ، تؤدي بالضرورة إلى إدراك جديد و معرفة عميقة للمحيط الطبيعي و الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان من حيث هو كائن مكلف بحمل رسالة مقدسة في هذا الكون².

فالعملية التعليمية لم تعد اليوم تقتصر على نقل المعارف و المعلومات للمتعلمين، و من هذا ينبغي طرح الأسئلة التالية:

ما هو شكل المعرفة التي نريد تدريسها أو تعلمها ؟ ما هي العمليات المستهدفة المراد تحقيقها لدى المتعلم عندما يكون في وضعية تعليمية محتواها معرفي بالدرجة الأولى ؟

فمن خلال إجراء مقارنة تتناول أثر تكنولوجيا التعلم نرى أنه و في تقرير اليونسكو³ قد تحددت الغايات التربوية الحقيقية التي هي من عملية التعلم و قد صاغها ذلك التقرير على الوجه التالي: تعلم لتعرف، و تعلم لتكون، ثم لتعمل و تشارك الآخرين، ينبغي على المتعلم أن يعرف كيف يتعلم و يعرف ؟ ليس ماذا يعرف ؟ أو الكيفية التي تحصل بها عملية اكتساب المعرفة و يتم ذلك باستيعاب المعرفة و تعميقها و توظيفها و إنتاجها ، إذ أصبح التعلم في ظل عصر المعلومات ممارسة فردية ، و التعليم ذاتيا و تراكم المعلومات لا يعني زيادة المعرفة ، لأن الأقل هو الأكثر ، و صار التعليم يتسم بالاستمرارية ، و الانتقال من سلبية الاستقبال إلى إيجابية البحث و الاستكشاف و متابعة تطبيق المعرفة واقعيًا بالإضافة إلى الاحتفاء بالمعرفة الجديدة و متعة استخدامها³ و من هذا يهدف التعليم إلى تحقيق أغراض كثيرة منها : - تنمية روح المثابرة و المهارات الذهنية من

عوامل وراثية خاصة بالفرد ، و يتطور مع الخبرات المكتسبة حيث يظهر في البيئة التي تحدث فيها عملية التعلم ، والنضج والتعلم رغم التفاوت النسبي بين المتعلمين متلازمان متفاعلان في تناسق تام ، بحيث يصعب الفصل بينهما ، و عليه فإن المدرس يكون على دراية و إدراك عميق بمراحل النضج المختلفة لدى المتعلم ، و بإمكانه تحديد خصائص نمو شخصية المتعلم ، وتشخيص جوانبها الفيسيولوجية والعقلية و الانفعالية و الاجتماعية ذلك لتهيئة القاعدة البيداغوجية لعملية التعلم ، لا يقوم المعلم باكتساب مهارة من المهارات ، أو خبرة من الخبرات قبل نضج هذه المهارة أو الخبرة عضويا وعقليا، فإن إغفال و جهل النضج في العملية التعليمية ينعكس سلبا على عملية التحصيل المعرفي لدى المتعلم .

2 - الاستعداد : إن عملية الاستعداد من العوامل الأساسية في عملية التعلم ، إذ هو القدرة الكامنة في الفرد ، و لا يتحقق هذا إلا إذا كان هناك تجانسا في النظام التواصلي بين المعلم و المتعلم، و يعتبر الاستعداد قدرة من القدرات الفطرية ، يقابلها في المعنى البيولوجي مصطلح النضج ، عنصر مهم و هو شرط أساسي للتعلم ، إذ لا يمكن حدوث التعلم ما لم تكن العضوية مستعدة ، أي ناضجة، و يكون الاستعداد نفسيا و بيولوجيا⁹ و يتحول الاستعداد إلى قدرة مكتسبة إن توفرت للفرد فرص التدريب المناسبة و بها يستطيع الفرد القيام بالفعل ، أو أداء مهام مختلفة ، و يظهر هذا عند مواجهة المتعلم مشكلات و في وضعيات جديدة تتطلب استدعاء معلومات أو تقنيات مكتسبة من تجارب سابقة .

3 - الفهم: يعد الفهم من العمليات الأساسية في عملية التعلم ، و لا يتحقق هذا إلا إذا كان هناك تجانسا في النظام التواصلي بين المعلم و المتعلم ، لأن العملية التعليمية في جوهرها عملية تواصلية

خصوصية و طبيعة المتعلمين ، و البيئة الطبيعية و الاجتماعية ، يتضمن قضايا و حاجات المجتمع مع التركيز على تنمية شخصية المتعلم و تطوير قدراته على التفكير و الإبداع أكثر من تحصيل المعلومات ، و أن يركز على الأفكار الحياتية التي يحتاجها المتعلم⁷ أي إعداده للحياة العملية و الاستفادة - قدر الإمكان - من إمكانات و سائط العلم الحديثة كالأقراص المضغوطة ، و شبكات المعلومات ، و صياغة التدريبات و الأنشطة وأساليب التقويم تكاملا مع عملية التعليم و التعلم ، مع مراجعة توصيف الكتب المدرسية و المواد التعليمية مراعاة للتدرج في مستوياتها ، و اتباع مبدأ التكامل ، و تفادي التكرار من خلال التنسيق الأفقي و الرأسي في تصميم الكتب المدرسية للمادة الواحدة و بين المواد الدراسية⁸ و بهذا فإن المعلم من خلال العملية التعليمية بدل أن يكون هو العامل الرئيسي في تحصيل المعرفة و الخبرة ، أصبح يمارس أدوارا جديدة موجها و مثيرا لدافعية التعلم ، و مهيبا للنشاطات التي تنمي حاجات مختلفة لدى المتعلمين .

-أسس التعليمية في ضوء المناهج الحديثة.

تعتبر عملية التعلم في منظور المناهج الحديثة حدث مركب من مجموعة من العوامل ، تحدث تحت تأثيرات خارجية في محيط المتعلم و بيئته الطبيعية ، و أخرى داخلية فيسيولوجية مرتبطة بالجانب الوجداني و العقلي الفطري في القدرات و المواهب ، فإن هذه المثبرات و الحوافز الداخلية و الخارجية تؤثر في سلوك المتعلم ، إذ يستجيب المتعلم لها عن طريق رد فعل معين يظهر في سلوكه ، و إن نجاح التعلم لا يتم إلا بواسطة عوامل أساسية متكاملة فيما بينها و من أبرزها :

1 - النضج: و هو ارتقاء القدرات العقلية و العضوية و النفسية التي تمكن الإنسان من التعلم ، و النضج يظهر طبيعيا عند جميع أفراد الجنس البشري دون تمييز ، و يعود إلى

- تنمية الفرد بدنيا وذهنيا ووجدانيا وروحيا من خلال إضفاء الطابع الشخصي على عملية التعلم بتطويع البرامج و النظم التعليمية بما يتلاءم مع المتطلبات الخاصة لكل متعلم ، مما يحقق الرقابة الذاتية و تصويب الأخطاء عند اكتشافها ، هذا ما يجعل المتعلم أكثر مسؤولية و محاسبة ، مع ممارسة نوع من الإشراف غير المباشر من طرف المربين¹² ذلك ما يحقق تنمية الإبداع و الخيال من خلال أساليب التعلم بالاكشاف ، و من التجربة و الخطأ ، و التعلم من الآخرين .

- التخلص من نزعات التعصب و تنمية مهارات الحوار ، بتنمية الرغبة في مشاركة الآخرين .

فالمعلم له الحرية في اختيار مادة الدراسة و أسلوب تقديمها و عرضها ، و في تقويم أداء طلبته أي تعليم الإنسان كيف يتعلم ذاتيا ؟ و كيف يواصل تعليمه أمام تضخم المعرفة و تنوع مصادرها و طرائق اكتسابها ، و وسائل تعليمها ، و من هنا فإن المعلم قد فقد سلطة احتكار المعرفة ، و لم يعد مجرد ناقل للمعرفة ، إلى كونه مشاركا و موجها إلى موارد المعلومات ، و فرص التعلم المتعددة المتاحة مهيئا للنشاطات التي تنمي حاجات مختلفة لدى المتعلمين¹³ .

و من هذا ينبغي ربط العملية التعليمية بالقدرات العقلية وفق النظرية البنائية التي ترى أن التعلم و طرائق اكتساب اللغة هو(تنظيم عقلي فريد من نوعه تستمد حقيقتها إذ تعتبر اللغة أداة للتعبير و التفكير الإنساني الحر)¹⁴ فالإنسان يمتلك قدرات فريدة لا يمكن تفسيرها تفسيراً آلياً ... و إن أظهر هذه القدرات و أعظمها هي اللغة الإنسانية التي لا تحدها أي ارتباطات أو قوالب تعبيرية ثابتة نتيجة (حالات فيسيولوجية ، و من ثمة فتلك هي صورة للعقل البشري (...)¹⁵ . كما يعتقد علماء النفس و التربية، فإن هناك تناسبا طرديا حاصلًا بين الذكاء و الحصيلة اللغوية عند الناشئ المتعلم، فكل بنية تنمو

، لذا ينبغي أن يكون التوافق و التجانس بين المرسل و المرسل إليه ، أي لغة مشتركة ، و قد يحدث تشويش أو انقطاع في هذه العملية إن كانت الخبرات متباعدة بين الطرفين .

و مما يجعل الذاكرة قادرة على التلقي و استيعاب المفاهيم و تحصيل المعرفة بالإضافة إلى الاستعداد التركيز على مهارة التكرار التي تقوم عليها العملية التعليمية¹⁰ .

4- الحب و القابلية: كما أن أساليب التربية الحديثة تعتمد أساسا على الحب أكثر اعتمادها على السلطة و القوة و العنف ، فحب الآخر و الشعور بمشاعره و العطاء غير المحدود تلك خلق إنسانية فاضلة يجب مراعاتها في ممارسة مهنة التعليم¹¹

الخصائص التربوية و أهداف العملية التعليمية :

فمن خصائص التربية المستقلة أنها شاملة متكاملة تشمل جميع النواحي العقلية و الحسية و الاجتماعية و الوجدانية في تكامل تام.

- توفيقية: توفق بين حاجات الفرد حسب عمره و حاجات المجتمع ، كما أنها تواصلية ، إذ يعبر فيها المتعلم عن أفكاره و خواطره و مشاعره ، و يتواصل مع غيره ، و يوفق بين التعبير و القيام بأنشطة فعلية في الفصل و البيئة ، كما أنها تهدف في ظل المناهج الحديثة إلى إعطاء الحرية للمتعلم لارتداد آفاق مجهولة يولد منها أفكارا و خبرات جديدة قد تصل إلى الإبداع و الابتكار.

- تعاونية: يحصل التعاون من خلال التربية الجيدة تعاون المعلم مع المتعلم و المتعلمين و سائر الأسرة التربوية و المجتمع التربوي ، ولا تقتصر على طرف دون إقصاء طرف آخر كما أنها تنمي القدرة على النقد و التقويم و الاستفسار، إذ يعبر فيها المتعلم عن مرثياته و آرائه يتساءل و يستقصي و يبحث ، و ينقد ، و يصدر أحكاما تقويمية .

و ليست دمي يسלט عليها المعلم خيوطا يحركها من بعيد ، ولا نفوسا منفعة فقط يمارس عليها جميع قواه الرامية إلى إثارة إعجاب تلك النفوس البريئة ، ففي حدود التعلم التعاون ينصهر المعلم في المجموع من غير أن يضيق عنه دوره الفطن القائم على التوجيه والتنسيق وإعمال الوعي ، و إن التعلم التعاوني يقتضي التناوب مع الآخرين للحصول على الكفاءة التي سوف يشتركون فيها ، وقد تتسم معظم دروس التعلم التعاوني بالملامح الآتية :

- يعمل المتعلمين في فرق لإتقان المواد الدراسية.
- تتكون الفرق من متفوقين في التحصيل ، و متوسطين ، و أقل من ذلك .
- توجيه المكافأة نحو الجماعة أكثر من توجيهها نحو الفرد ، وهذا يزيد من قيمة مردودية التحصيل المعرفي ، ويفيد ذوي التحصيل الضعيف ذلك ما يدفع إلى التفكير بعمق أكبر ، و يكتسب من خلاله المتعلمون مهارات التعاون و التضافر و التسابق الإيجابي ، إذ هي مهارات في مجتمع يتم فيه القيام بأعمال في منظمات يعتد بعضها على بعض تتفاوت ثقافتها ، فإن كثيرا من أفراد المجتمع و من فئات مختلفة تنقصهم المهارات الاجتماعية الفعالة¹⁶ .

و العملية التعليمية تهدف أساسا إلى تحقيق أهداف متنوعة و متعددة، و هي على درجات متفاوتة من التجريد و العمومية حتى تصل إلى الأهداف الإجرائية المرتبطة بالمواقف التدريسية التي يتم تحقيقها في أوقات محددة ، و هي عبارة عن أهداف و أنشطة إجرائية ، ويتم تحديدها باختلاف مستوياتها بناء على ثقافة المجتمع و طبيعة المتعلم و خبراته و نموه ، و التطورات في الأساليب و البحوث العلمية و الجديد في المجال التربوي في العالم المتقدم بما يتفق مع مبادئ المجتمع .

انطلاقا من بنية سابقة بطريقة جدلية ، فالمعرفة دوما مرتبطة بالفعل و الممارسة و ما يتعلمه الأطفال عن اللغة هو ما يعرفونه عن العالم ، فلا يمكن أن تتم المعرفة معزولة عن محيط المتعلم .
- الاستيعاب : به تتم عملية إدماج المعارف و المهارات ضمن النسيج المعرفي حتى تصبح تلك المواقف الذاتية مع مواقف الوسط و البيئة ، و التربية تتضمن و ترى أن الطفل يتعرض للمواقف التجريبية فيها أشياء ليرى ماذا يحدث نتيجة التجريب ، و طرح الأسئلة ، و السعي للحصول على إجابات ، و التوفيق بين ما يتوصل إليه في وقت ، و ما يعثر عليه في وقت آخر و يقارن نتائجه بالنتائج التي يتوصل إليها الآخرون ، و يبي مفهومه عادة من تصورات تحصل من خلال الحواس و من الذكريات و التخيلات و من نتائج الفكر الخيالي ، فالطفل قبل أن يبدأ في تشكيل المفهوم لابد أن يتعامل مع المدركات الحسية الخاصة بذلك المفهوم ، فكلمات : حديقة - نهر - قلم هي مفاهيم تتكون لدى الطفل نتيجة مدلولات حسية ، و تستخدم الدلائل أو الكلمات للإشارة إليها ، فالدال ، أو الكلمة ليس هو المفهوم ذاته و لكن المفهوم هو مضمون هذه الكلمة دلالة هذا الرمز في ذهن المتعلم .

- مثال : كلمة (قلم) ليس مفهوما ، و إنما هي اسم لهذا المفهوم ، و إن الصورة الذهنية التي تتكون من خصائص الأقلام جميعا هي المفهوم ، أو مضمون الكلمة ، يعتبر تشكيل المفهوم لدى المتعلم انطبعا أو تصورا شخصيا يختلف باختلاف الأفراد أنفسهم ، و اختلاف خبراتهم فيه ، و مع ذلك يمكن أن يتشابه معنى المفهوم الواحد لدى الأفراد المختلفين عندما تتشابه الخبرات التي يمرون بها .

و من أهداف التعلم التعاون الجماعي : هو أن يعمل المعلمون أساسا مع الجميع كعناصر فعالة

16. عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، ط 4، مؤسسة الرسالة سوريا، 1984، ص 115.

و إجمالاً لما سبق يمكن القول إن استثمار الطفولة في تعلمها حقل تنافس فيه الأمم، فما أدركت خصائصها و مراحل تطورها، استطاعت النفاذ إلى بواطنها و مجاهلها، و عرفت المادة المنقاة لزرعها كان النبت زكياً و الغرس مثمراً خصباً.

المراجع:

- 1 . مداخلة حول مقارنة الكفاءات، الكتاب المدرسي، 2002 المركز الوطني.
2. أحمد حساني ، دراسات في اللسانيات التطبيقية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2000 ، ص 91.
3. مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة 1999 ، ص 77.
- 4 . علي نبيل ، العرب و عصر المعلومات ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، سلسلة عالم المعرفة عدد 184 الكويت 1994
- 5 . أحمد حساني ، دراسات في اللسانيات التطبيقية ، مرجع سابق، ص 75-85.
- 6 . علي نبيل، اللغة و الحاسوب، دار غريب للنشر، القاهرة .
- 7 . أحمد حسين ، التدريس الفعال ، القاهرة عالم الكتب ، د ت .
8. أحمد حسين ، المناهج بين النظرية و التطبيق ، القاهرة ط 4 ، عالم الكتب، 1985، ص 107 .
9. محمد زيات حمدان، تقييم التعليم و التحصيل، دار التربية الحديثة، دمشق، 2001، ص 42.
10. أنظر عبد الكريم غريب و آخرون، في طريق تقنيات التعليم من أسس المعرفة، إلى أساليب تدريسها، سلسلة علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 1992، ص 67-68.
11. مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ط 3، دار الفكر، 1992، ص 188.
12. دكتور كوثر قاده، جامعة أم القرى مكة المكرمة، المناهج التربوية، دار الشروق للنشر و التوزيع.
13. شرفاوي عبود، البدائل المتاحة، مقارنة بيداغوجية، ص 70.
14. المرجع نفسه، ص 74.
15. حسام الهلساوي، لغة الطفل في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث، دار المناهل للطباعة، 1994، ص 102.